التي يأتيها المعتقدون بهم من غير علم ولا بصيرة سواء كانوا احياء أو أمواتاً ومن انتصر للشريعة فعرف المعروف وانكر المنكر فهو المحبوب المرضي عندهم وسكوت الكثير من المتسمين بسمة العلم والصلاح عن الانكار لزعمهم انه ادب مع الاولياء لا ينهض حجة على ان المنكر صار معروفاً فان إمامنا السنة والقرآن ، لا صاحب الاردان الواسعة والطيلسان ، وان لنا لعودة الى هذه المباحث نفصل فيها ما أجملنا، ونسهب بما أوجزنا، ولعل الموعد يكون قريباً

اه ما اخترناه من العدد الرابع

الموالد أو المعارض (*

(بمصر كثير من المضحكا　　ت ولكنه ضحك كالبكا)

نعم انها أمورٌ تضحك منها السفهاء ، وتبكي من عواقبها الالباء ، أمور ينظرها الضاحك كما ينظر الصور والتماثيل ، ويبصرها الباكي كما يبصر الصواعق والبراكين ، أمور تقام لها المعارض في كل صقع ، وتحشر اليها الخلائق من كل فج ، فيحضرها العالم والجاهل، والامير والصعلوك ، والغني والفقير ، والناسك والفاتك ، والواهب والسالب، وان شئت قلت يحضرها جميع الاصناف من جميع الطبقات ، وتعرض منهم وفيهم وعليهم المضحكات المبكيات ، معارض تقفل لاجلها بعض مدارس العلم. وتعطل لبعضها مجالس الحكم ،وتبطل الزراعة ويكون حيث تقام أعظم المساجد

*) نشرت في فاتحة العدد الخامس الذي صدر في ٢١ ذي القعدة سنة ١٣١٥ ـ ٣٠ مارث سنة ١٨٩٩

سوقاً ومرقصاً (بالو) وملعباً وملهى وقهوة وفندقاً (لوكانده) ومستشفى (اسبتالية لكنها روحية) وصيدلية (اجزاخانة) وماخوراً (موضع الريبة) كل ذلك في وقت واحد ـ معارض قد اشتبهت على العامة حقيقتها فلا يعلمون هل هي دينية أو دنيوية نافعة أو ضارة

لاشك ان كل مصري يعرف من هذه الاوصاف ما هو المعرض الذي يقام في بلاده وان كان يسميه مولداً لا معرضاً

وأما من لم يكن مصرياً ولا شاهد هذه المعارض في ديار مصر فان العجب يأخذ منه مأخذه عند مايقرأ فاتحة هذه المقالة وربما خيل له انها كلام سحري أو ضرب من الالغاز لانه يرى الاوصاف لاتنطبق على ما سمع أو رأى من المعارض في البلاد المتمدنة التي يسمع أن مصر ضربت معها في كل سهم وأخذت من أنواع تمدنها أوفر نصيب

لاتفتر أيها السامع عن تمدن مصر وتقدمها بما ينقله اليك أهل السذاجة أو تموه به عليك الجرائد فليس في مصر من التمدن والتقدم الا بعض قصور وحوانيت كلها أوجلها للاجانب وبعض طرق فسيحة لم تنشأ الا لجولان مركباتهم وتركاض خيولهم ودراجاتهم وذلك في العاصمة وبعض البلاد الكبيرة (البنادر) فقط . وتوجد أيضاً الطرق الحديدية واسلاك التلغراف والتليفون الا انها ليست من صنع أبناء البلاد وانما هي من صنع الاجانب الذين يجتنون معظم ثمراتها وهي التي ملكتهم زمام التجارة والمرابحة في القطر فاستنزفوا ثروة أهله وامتصوا دمائهم ثم تخطوا ذلك الى امتلاك رقبة أراضيهم الواسعة واتخذوهم فيها أجراء ومزارعين.

لو ان أحداً طار في منطاد (بالون) ونزل في الازبكية وطاف فيها

يقرب منها لقال ان هذه المدينة هي أخت باريس أو بنتها واذا سار الى القرافة ورأى القصور المشيدة على القبور يذهب به الوهم الى ان مصر قد عادت لها مدنيتها القديمة وعما قليل يبني أمراؤها اهراماً كاهرام الجيزة ويتخذونها قبوراً لهم ولكنه اذا جال في أنحاء القطر وارجائه ورأى بيوت السواد الاعظم من الشعب تحاكي زرائب الغنم ومعاطن الابل في سائر البلاد التي تفتخر بمصر ويفتخر عليها بعض أهل مصر (كسوريا ولبنان) بل هي أقل واحقر واذا خالط مع ذلك هؤلاء المساكين ورأى حالة معيشتهم في مأكلهم وملبسهم حكم حكماً جازماً (وربما لم يكن بعيداً من الصواب) بان الشعب المصري هو انكد الشعوب عيشاً وأشدهم بؤساً وأكثرهم غباوة وجهلاً . فقد عمل بعض عقلاء المصريين حساباللفلاح المصري فوجده ينفق في مدار سنته كلها على أكله ولبوسه سبعين قرشاً أميرياً

ولا تحكم على القطر بمثل هذا العاقل وهذا العالم وذلك المثري فانما كلامنا في الشعب لا في الافراد وسننشىء مقالة مخصوصة في (تمدن مصر) في عدد آخر ونكتفي الآن ببيان مجمل عن المجتمعات الكبيرة التي تقام في مصر ويسمونها (الموالد) فان مجتمعات كل أمة هي مثال تمدنها وآدابها وعلمها وعملها واني اذكر ذلك بعبارة انتقادية لعله يبعث على تلافي الخلل ومداواة العلل وابدأ بالكلام عنها من الجهة الدينية فأقول

الموالد

ان مصر تلقب بام العجائب وما أجدرها بهذا اللقب واحقها بهذا

الاسم وما أكثر وجوه التفسير والتأويل فيه . وأعجب أولاد هذه الامم شكلاً ، واغربهم وصفاً وفعلاً ، هو ما يسمونه (الموالد) اسم يرمي الى معنى لم يلاحظ في الاصل مدلوله اليوم ولم يعرف واضعه الى أي حد ينتهي

ويظن اللغوي لاول وهلة ان اطلاق المولد على هذا الاجتماع الخاص المعروف ليس له مجاز الى اللغة ولا يمس حقيقتها . لكنه لا يلبث ريثما يرجع الطرف الى المجتمع في مسجد السيد البدوي (رضي الله تعالى عنه) في مثل الاسبوع الثالث الا وينجلي له وجه التسمية وجيه . ذلك انه يرى المجتمع تولد فيه البدع والمنكرات والسفه والجهالة وكل فعل مذموم مشؤم

تدخل المسجد فترى سواداً عظيما وتسمع جلبة وضوضاء . ترى أناساً قد وضعوا في اعناقهم السلاسل والاغلال ، بعضهم عار وبعضهم يلبس الاخلاق والاسمال ، وقد تجمدت عليهم الادران والاقذار ، ولبدوا شعورهم المضفورة حتى لا ينفذها الماء ، والحشرات ترتع في اجسادهم تطوف في اطواء مرقعاتهم واهداب قبعاتهم

وقد قاموا الى ما يسمونه الذكر « كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » وما كان ذكرهم الا همهمة ودمدمة ، وحمحمة وجمجمة ، تشوبها صيحات ونبآت ، وتخالطها شهقات وزفرات ، ويملؤها مكاء (صفير) وتصدية (تصفيق) ويتخللها أوامر ونواه ودعاو طويلة عريضة وتهذار وهذيان (كلام لا يعقل ولا يفهم كالذي يصدر من المريض) ويعقبها نوبات صرع واغماء ، يشترك في ذلك كله النساء والرجال ،

والشيوخ والاطفال ، هذا هو حزب « الاولياء » الذاكرين وثم أحزاب أخر فرقوا دينهم وكانوا شيعاً . فمنهم المتصدرون للرقى والتمائم وشفاء الامراض والادواء ومنهم المرافون المتصدون لبيان ماغاب علمه عن الناس من مصالحهم الدنيوية المبشرون الباثسين بزوال بؤسهم والانتصار على أعدائهم وسائر أرباب الحاجات بقضاء حوائجهم اذا هم رضخوا لهم بشيء من الفلوس . ولهم أعمال دون ذلك هم لها عاملون : ثم ارجع الطرف الى منصورة السيد قدس الله تعالى سره عن الرضى بهذه البدع والمنكرات فانك ترى أن قبره كعبة ثانية تطوف بها الناس كما تطوف بالكعبة ويزيدون على ذلك الدعاء وطلب الحوائج من السيد نفسه معتقدين انه هو الذي يفعل ذلك بنفسه لما تلقوه من القصص والحكايات في ذلك التي منها أن رجلاً أضل جاموسة له أو سرقت منه فجاء الى قبر السيد وطلبها منه فلم يجئه بها فأغلظ عليه في القول وأهانه بالكلام وهدده بانتقام الحكومة منه فلم يلبث بعد ذلك الا قليلا حتى رأى القبر يضطرب وسمع خوار الجاموسة من تحت الستار الذي على القبر ثم خرجت الجاموسة من القبر وتمثلت بين يديه فأخذها من المسجد وانصرف . فمثل هذه الاساطير التي ترويها الآباء للابناء ويقرهم عليها شيوخ العلم والارشاد هي التي قادتهم بسلاسل التقليد الى الاعتقاد بان السيد يفعل مايشاء ويحكم مايريد وتفضيله على الانبياء بل نقل عن اثنين من الجهلة كانا يتساءلان عن المفاضلة بين السيد والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أحدهما للآخر (اسكت ياواد دا السيد أفضل من ربنا) تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذه الحكايات سارت بها الركبان وعرفها

أهل الشرق والغرب . كل هذا والعلماء ساكتون حذرا من الوقوع في انكار الكرامات أو الاعتراض على الاولياء الذي يخشى معه أن يتصرفوا بهم ويوقعوهم في الرجز الاليم .

ثم ان للوليات من هؤلاء اعمالا غير التي أشرنا اليها ذلك انهن يفضن الخيرات والبركات على الناس بواسطة المصافحة والتقبيل والعناق ، ويقذعن عند ذلك بالفاظ من الفحش لا يليق أن تحكى فضلا عن ان تسطر في الاوراق .

رأى كاتب هذه الكلمات بعينه ولية منهن صبيحة الوجه وفي معصميها أسورة وفي أصابعها خواتيم وفي عنقها عقود وقد جمع رأسها الى رأسي رجلين والتفت الايدي على الاعناق فكان عناقاً مثلثاً . . . ورأى منهن فتاة مدت يدها لمصافحته فاعرض عنها فوثبت عليه كالثعبان وقبلته في وجهه قبلات متتابعة . وفعلت ذلك مع غيره أيضاً . كل هذا يجرى في بيت الله على مرأى من العلماء ومسمع وهم له مقرون وبه راضون يحذرون أن يغضب عليهم السيد اذا غضبوا لله وانتصروا لدينه وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .

ان سكوت العلماء بل مشايخهم لعاملي هذه الاعمال بترك دروس العلم وتخلية المسجد لهم وغشيانهم مجالسهم من غير نهي ولا انكار وتهنئتهم بهذا الموسم الشريف والدعاء لهم بالحياة لمثله أعواماً وأحوالا - كل ذلك وأمثاله أوقع في أذهان العامة ان هذه الاعمال من مهمات الدين التي تضاعف بها الحسنات وتمحى معها السيئات فلقد أنكرت بعض المحرمات التي رأيتها على عصابة ممن في المسجد فاجابني بعضهم قائلا « أبو فراج

ساحتو واسعة» فسألته الافصاح عن هذه العبارة وبيان معناها فقال «يعني ما عاهشي هم العلماء قالوا ان لمس المرء في أيام المولد ماينتقشي الوضوء» ولعمري انه جدير بان يقول هذا فان لديه كل حجة لو عرضها على منبر جامع السيد امام الآلاف المحشورة فيه من شيوخ العلم والطريق وغيرهم لظلت أعناقهم لها خاضعين. ولم ينبس أحد ببنت شفة في تكذيب روايتها أو بيان انها لاتفيد المطلوب على تقدير ثبوتها وما هي الا حكاية من الحكايات التي تروي عن كرامات السيد وتؤخذ مسلمة سواء كان راويها عدلا أم فاسقا عاقلا أم مجنونا. وهذه من المزايا التي يميز الجماهير بها مايؤثر عن الاولياء من العجائب والخوارق على مايؤثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم من الحكم والاحكام. وتلك الحكايات كثيرة وكلها ترجع الى شيء واحد وهو ان من يعترض على منكر يحصل في مولد السيد فلا بد أن ينكب بنكبة أو يصاب بمصيبة وقد غلا بعضهم غلوا كبيرا حيث زعم ان في ذلك خطرا على العقيدة وان المعترض لا يكاد يموت على الايمان وجهل القائلون بهذا والمصدقون به ان هذا الخطر من الاعتراض لايحيق الا بهم لانهم هم الذين نقصوا السيد حيث جعلوه زعيم الفاسقين وقوادا الفاجرين ورئيس العاملين على هدم الدين. (نعوذ بالله من هذا الجهل الفاضح) أما والله لقد طاشت سهامهم، وامتلخت احلامهم (انتزعت عقولهم) وضل رشادهم، وعظم فسادهم، فاذا حدثتهم بما ينابذ الشرع والعقل قبلوه، واذا جئتهم بما يؤيدهما رفضوه ولم يتقبلوه

واهون ما يكون ممن اعترض على ما يحصل في مسجد السيد أيام مولده ثم رجع الى الاقرار وانضوى الى أهل الرضى والتسليم ان رجلا من المغرب جاء لزيارة السيد في أيام المولد فشاهد من

المنكرات ما ضاق له صدره وعظم عليه أمره فترك الزيارة وخرج مغاضباً ومنكراً ولاية السيد إذ لم يتصرف بهؤلاء العصاة الذين ينتهكون حرمة حماه ويأتون المحرمات في مشهده ومغناه، فلما انتهى الى البحر بالت بغلته في الماء فأثر ذلك (أي خرج أثره) رجل خرج من الماء وقال للمغربي يا رجل قد نجست الماء فاجابه وهل ينجس البحر فقال له وهل السيد الابحر فكيف يمكره أو ينجسه مارأيت؟ فرجع المغربي يحدث بما رأى وقد أيقن ان الذي خرج من الماء وكلمه بهذا القول المراء هو السيد البدوي بعينه

وانا أروي لهم رواية صحيحة المتن والسند، فهل يقبلها منهم أحد، ام يرفضونها لانها أليق بمحاسن الدين، وفيها تعظيم صحيح للاولياء والصالحين، وهي: كان بعض طلبة العلم العقلاء يحضر العلم في الجامع الاحمدي في طنطا من نحو ٣٠ سنة ولما كانت أيام المولد أراد ان يصلي مع بعض أشياخه في جامع السيد فقام الشيخ وتوضأ من ميضأة الجامع وهي متغيرة اللون والطعم والريح من النجاسة فأبى ان يأتم به تلميذه وكان جاء المسجد متوضئاً بل صرح له بالانكار وبأن صلاته مع النجاسة والوضوء بالماء النجس غير جائزة فاءتم الشيخ به ولما فرغا من الصلاة قال له الشيخ لابد ان تصاب بنكبة لاعتراضك وانا لولا ان نفسي تعاف الشرب من ماء مجاري كنف جامع السيد لشربت منها فقال له التلميذ اذا كان السيد ولياً لله بل اذا كان مسلما حقيقياً (وهو كذلك) فانه يغار على الدين ويكون ما قلته انا هو المرضي عنده واذا كان غير ذلك فلا أبالي برضاه وسخطه وهذا اذا فرضنا انه رقيب ومهيمن على الاعمال يرضى لحسنها ويسخط لقبيحها واني اخاف

عليك أيها الاستاذ ان تصاب ببلاء لاستهانتك بمراعاة الشريعة واقدامك على مخالفتها وأقول هذا مع الاسف لاحتياج مثلي الى ارشاد مثلك: وتفارقا وفي اليوم التالي حاول التلميذ العاقل الاجتماع بشيخه حيث كان يلقاه من المسجد فلم يجده وبعد السؤال علم انه مريض في احدى الخيام فذهب لعيادته فألفاه مشغلاً بالدثر الثقيلة وهو يرتعد من الحمى مع لفح الهجير واتقاد السعير حيث كان ذلك في المولد الكبير (في اغسطس) واخبره انه منذ فارقه بعد الصلاة جاء ذلك المكان فعاجلته الحمى فيه فقال له التلميذ وهاأنا ذا صحيح معافى فمن الذي عوقب على الاعتراض والانكار؟ ثم نقله من خيمته واعتنى بخدمته

فيا معاشر الناس ان كنتم تعتقدون ان الامراض والمصائب تأتي من ارتكاب الخطايا واقتراف المعاصي فالمعاصي والخطايا هي ما ترونه وتأتونه في مسجد السيد وان كنتم تعتقدون ان الله تعالى يعاقبكم في الدنيا والآخرة على انكار المنكر والامر بالمعروف والعمل به اذا حصل ذلك في جوار السيد فقد نبذتم دين الله تعالى وراء ظهوركم كما انكم تنكبتم طريق العقل وأساطيركم التي تسمونها كرامات وتعدونها من الآيات البينات أيضاً ليس فيها على ما تدعون برهان مبين، ولا تقوى على سلطان العقل والدين المبين، لا سيما وهي معارضة بحكايات اصح منها رواية وأقوى دراية عن الذين انكروا هذه المنكرات وأثموا فاعلي هذه السيئات ولم يعاقبوا على ما عملوا بسوء ولا صب عليهم العذاب ومنهم من كشف عنه السوء واكتنفته النعمة بل منهم من ابتلي إثر التهاون بحقوق الشريعة الشريفة وترك الانكار على من اخل بها بالمرض كما سمعت في الحكاية الواقعة التي قصصتها آنفاً فاعتبروا يا أولي الابصار.